تفسير ابن كثير

يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم وأولئك الالهة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعا ولا ضرا أي لا تحصل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرة فهل يستوي من عبد هذه الالهة مع ا ومن عبد ا وحده لا شريك له فهو على نور من ربه ؟ ولهذا قال : { قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم } أي أجعل هؤلاء المشركون مع ا آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله ولا ند له ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة تعالى ا عن ذلك علوا كبيرا وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكما أخبرنا تعالى عنهم في قوله : { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى ا زلفى } فأنكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه { ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له } { وكم من ملك في السموات } الاية وقال { إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا } فإذا كان الجميع عبيدا فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا برهان بل مجرد الرأي والاختراع والابتداع ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى ا فكذبوهم وخالفوهم فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة { ولا يظلم ربك أحدا }